

## مصرية تنتصر على عصابات التحرش بالأفكار الخلاقة

نادين أشرف

شابة تغير قوانين الإبلاغ عن الانتهاكات ضد النساء



● أشرف تواجه توحش القبيلة، وإرث العادات المناهضة للعدل، وهي ترفع راية المجاهرة بتوثيق وفضح جرائم التحرش والاعتصاب في المجتمع المصري.

المصرية على قانون جديد يوفر الحماية للشاكيات من التحرش ويقبل بإخفاء هويتهم، وهو ما يعتبر قفزة غير مسبوقة تمثل ردعا قويا للظاهرة المشينة.

كتب الصحافي الأميركي ديك ولش في أكتوبر الماضي في صحيفة "نيويورك تايمز"، واصفا أشرف بأنها أسقطت نقابا بشرية لا حصر لهم، وأن متهمها واحدا ممن نجحت في إدانتهم قام باغتصاب خمسين سيدة وفتاة على مدى عدة سنوات دون أن تجرؤ إحداهن على اتهامه.

على غرار ما فعلته، قام نشطاء وناشطات، في أماكن مختلفة بتدشين حسابات مماثلة للإبلاغ عن كافة الانتهاكات التي تواجهها المرأة المصرية في كل مكان.

صار واضحا أن خارطة التحرش الجنسي سوف تشهد خلال السنوات القليلة القادمة تغييرا كبيرا بفضل مقاومة الأفراد المتطوعين عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، وتجاوب الأجهزة والكيانات المؤسسية معهم.

في تصريحات حديثة لها أدلت بها بعد اختيارها ضمن قائمة "تايم" نكرت نادين، أنها تنوي قريبا تحويل حسابها على إنستغرام الخاص بمراقبة وتوثيق حكايات التحرش الجنسي إلى مؤسسة تساعد النساء والفتيات من مختلف الأعمار على الإبلاغ عن أي انتهاكات تواجههن، وصولا إلى تطبيق القانون بصرامة على الجناة.

فضلا عن ذلك، فإن المؤسسة سوف تقوم بتنظيم برامج توعية وتدريب للنساء في الريف والحضر، من مختلف الفئات للتعرف على سبل التعامل مع المتحرشين قانونا، وضمان حياة كريمة لهن من دون تحرش.

كتب الصحافي الأميركي ديك ولش في أكتوبر الماضي في صحيفة "نيويورك تايمز"، واصفا أشرف بأنها أسقطت نقابا بشرية لا حصر لهم، وأن متهمها واحدا ممن نجحت في إدانتهم قام باغتصاب خمسين سيدة وفتاة على مدى عدة سنوات دون أن تجرؤ إحداهن على اتهامه.

على غرار ما فعلته، قام نشطاء وناشطات، في أماكن مختلفة بتدشين حسابات مماثلة للإبلاغ عن كافة الانتهاكات التي تواجهها المرأة المصرية في كل مكان.

صار واضحا أن خارطة التحرش الجنسي سوف تشهد خلال السنوات القليلة القادمة تغييرا كبيرا بفضل مقاومة الأفراد المتطوعين عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، وتجاوب الأجهزة والكيانات المؤسسية معهم.

في تصريحات حديثة لها أدلت بها بعد اختيارها ضمن قائمة "تايم" نكرت نادين، أنها تنوي قريبا تحويل حسابها على إنستغرام الخاص بمراقبة وتوثيق حكايات التحرش الجنسي إلى مؤسسة تساعد النساء والفتيات من مختلف الأعمار على الإبلاغ عن أي انتهاكات تواجههن، وصولا إلى تطبيق القانون بصرامة على الجناة.

فضلا عن ذلك، فإن المؤسسة سوف تقوم بتنظيم برامج توعية وتدريب للنساء في الريف والحضر، من مختلف الفئات للتعرف على سبل التعامل مع المتحرشين قانونا، وضمان حياة كريمة لهن من دون تحرش.



● 57 في المئة من المصريات يعرضن لحوادث تحرش جسدي مباشر في وسائل النقل العامة اليومية، ونحو 31 في المئة للتحرش الإلكتروني عبر السوشيال ميديا، وفق استطلاع رأي أجرته مؤخرا طلاب معهد السينما بالقاهرة.

ساعتك لا يهمن لمن ساكتك هذه الأسطر/ فحسبي أن أبوح هنا، لوجه البوح لا أكثر/ حروف لا مبالية أبعثها على دفتر/ بلا أمل بان تبقى/ بلا أمل بان تُنشر/ لعل الريح تحملها فتززع في ثقلها/ هنا خرجا من الزعر/ هنا كرما/ هنا بيدز/ هنا شمسا وصيفا رائعا أخضر".

كل ذلك كان وقودا دفع أشرف إلى المضي في الحكي، واستقبال شكاوى الفتيات، وترتيبها ثم عرضها مع أسماء وصور المتهمين تمهيدا لإدانتهم. نشرت في البداية الحكاية المحذوفة لزميلتها طالبة ودعت الفتيات إلى أن يكتبن باسمائهن، وباسماء مستعارة وحروف رمزية، حكايات تعرضن لانتهاك الجسدي والاعتصاب وأن يشرن إلى الجناة بأوصافهم لتكسر فيهن نزعة الخجل من نظرات الاستهجان أو الأذراء.

بدات الاستجابة ضعيفة، وربما نادرة، واتسعت وارتفعت وتيرتها تدريجيا، لكن في نقطة ما انفتح شلال الحكي وجارت سيدات كثيرات بالشكوى لتكتشف نادين أمامها مجلدات من الفطائع الحقيقية المستترة، وجمعت منها خيوط قضايا حقيقية كانت لها تأثيرات في الكثيرات.

## شلال احتجاج

بتعبير أشرف نفسها في حوار مع مجلة الجامعة الأميركية بالقاهرة، نامت ذات ليلة، واستيقظت لتجد أكثر من مئة ألف متابع لحسابها والعشرات من الرسائل والحكايات الموثقة والشكاوى، وبدت أولى القضايا المطروحة قضية الشاب الذي حكى عنه زميلتها، والذي تم القبض عليه بالفعل والتحقيق معه ثم إدانته سريعا بعد تحول القضية إلى قضية رأي عام والحكم بسجنه ثلاث سنوات. قضية أخرى، عُرفت إعلاميا بفتيات الفيرمونت، نسبة إلى استدرج بعض أبناء رجال الأعمال لزميلاتهن في أحد الفنادق وتخيرهن والاعتداء عليهن.

كانت أشبه بمن يُلقى حجرا في بحيرة راكدة لتتسع دوائر المياه سريعا، وتصل إلى كل وحش مخف تحت أقبعة الأعراف لتفضحه وتجرجه إلى ساحات القضاء، وتتجاوب السلطة التشريعية (البرلمان) بعد ذلك مع انتفاضة النساء ثم توافق الحكومة

من جبل الجليد المتراكم عبر عقود من السيادة الذكورية، وعلية مفاهيم التدين الشكلي، وتحميل الأنثى أثار الكبت الجنسي، واعتبارها بمظهرها وزينا المسؤولة الأولى عن انحراف بعض الشباب والتحول إلى أدوات مخاصمة لفهوم الأنوثة.

بدات الحكاية بإطالة قصيرة لم تزد عن بضعة أسطر قدمتها طالبة غير معروفة على فيسبوك، تروي فيها تعرضها للاعتصاب من شاب معروف ينتمي إلى عائلة ثرية، لها مكانتها ونفوذها الكبير في المجتمع.

ساعات قليلة مرت على ذلك، حتى تعرضت الحكاية المنشورة فجأة للمحو التام، ما أثار غضب نادين، ودفعها إلى التشكك في تعرض طالبة الشاكية للضغط والتهديد، وهو ما جعلها تسارع في البحث والتحري وإعادة نشر حكاية طالبة داعية كل من لديه شهادة على الحادثة إلى الإلء بها.

كانت أشرف طفلة في الثانية عشرة من عمرها في يناير 2011 عندما شهدت مصر انتفاضة غضب تاريخية ضد نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك، ورات وقتها جموع الشباب وهم يحاولون الصمود في مواجهة القمع، ويرفعون رايات الإصرار على التغيير والتحول الاجتماعي، ما غرس في نفسها جينات المقاومة وانبت لديها إرادة قبول التحدي.

كما أن انتماءها إلى طبقة فوق متوسطة ميسورة الحال، ودراستها لللسفة والعلوم السياسية في الجامعة الأميركية بالقاهرة، جعلها أكثر حرصا على مد يد المساعدة والمساندة لضحية لا تعرفها ولا تعلم حجم ما تعرضت له من ضغوط لتسقط شكاواها.

ولكون والدها مهندسا وخبيرا في تطوير برمجيات وشبكات الاتصالات، جعلها قادرة على استيعاب ما يمكن لوسائل التكنولوجيا الحديثة أن تحققة من تغيير وتحول في المجتمع حال استخدامها في قضية عادلة، وهو ما لا يمكن تحقيقه عبر الوسائل التقليدية المعتادة.

بالإضافة إلى تلك الدوافع إيمانها بأهمية البوح والفضح في مواجهة القبح، وهو إيمان قديم، لكنه نضج مؤخرا بفضل محاورات التواصل الاجتماعي. فجيل المرأة العربية في ما بعد انتفاضات وثورات الربيع بدأ متأثرا بشدة بمنشورات الشاعر الراحل نزار قباني المحرصة على التمرد ضد تقاليد البداوة، والداعية إلى البوح والإفصاح والشكوى علنا.

يقول قباني في إحدى قصائده المتداولة بين مجموعات البنات على التواصل الاجتماعي "سأجمع كل تاريخي على دفتر/ سأرضع كل فاصلة حليب الكلمة الأشقر/

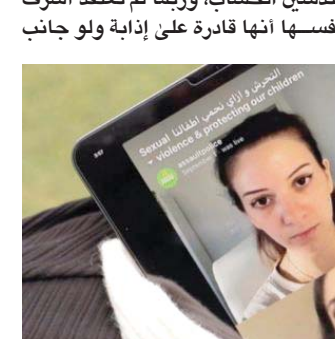
يواجهها المصريون في الوقت الحالي، وقد تكون الأخطر في ظن كاتب السطور من الإرهاب نفسه، إلا أنه يبدو للعيان أن عدم اكتراث العامة في مصر بمن يقاوم التحرش صار أمرا معتادا، لأن جانبيا كبيرا من الناس اعتاد رؤية التحرش والسماع عنه، وكأنه أمر طبيعي، مثل شروق الشمس وغروبها كل يوم. وتدل على صحة ذلك دراسات عدة، لم يبد أحد استغرابه من نتائجها، حيث تشير إلى أن مصر من أكبر دول العالم التي تتعرض فيها النساء للتحرش الجنسي، لفظا وفعلا وتلميحا.

حسبنا أن نشير هنا إلى استطلاع رأي أجراه مؤخرا فريق بحثي من طالبات المعهد العالي للسينما بالقاهرة، شمل عينة من 157 فتاة وسيدة من أعمار مختلفة، انتهت إلى أن 57 في المئة منهن تعرضن لحوادث تحرش جسدي مباشر خلال استخدامهن لوسائل النقل العامة اليومية، وأن نحو 31 في المئة منهن تعرضن للتحرش الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

يعتقد الكثير من الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية أن تلك النتائج المفزعة أقل كثيرا مما هو كائن بالفعل، نظرا إلى وجود تصورات مروثة تدفع بضحايا التحرش في الكثير من الأحيان إلى الكتمان. ويعني ذلك أن نتائج المسح الذي أجرته الأمم المتحدة سنة 2013، والذي أكد أن 99 في المئة من النساء في مصر يعرضن للتحرش الجسدي أو اللفظي صحيح تماما.

## المقاومة عبر إنستغرام

يُمكن إدراك قيمة ما فعلته أشرف عندما أطلقت في شهر يوليو الماضي حسابا أسمته "شرطة الاعتداءات" وطالبت كل فتاة وامرأة في أي مكان بمصر أن تقدم للعالم حكايتها، إن كانت قد تعرضت لانتهاك أو تحرش، بهدف ملاحقة المتحرشين ومقاومتهم بالفضح والحكي ثم محاسبتهم قانونا. لم يهتم البعض في بداية الأمر بتدشين الحساب، وربما لم تعتقد أشرف نفسها أنها قادرة على إذابة ولو جانب



● "شرطة الاعتداءات" حساب على إنستغرام أطلقتها أشرف في شهر يوليو الماضي، وطالبت كل فتاة وامرأة في أي مكان بمصر أن تقدم للعالم حكايتها.

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

بين الخوف من سيطر المجتمع المزدري للنساء، والخوف من انتقام الجناة إن تجرأت الضحايا على فضحهم، فضل النساء في الكثير من الدول العربية الصمت، ويخترن الكتمان، وحبس حكايات الوجد النسوي داخل صدورهن، طلبا للسلامة وإيتارا للرد الغتنة، فتبقى الجريمة قائمة، ويمرح الجرمون في سلام، ما يدفعهم إلى تكرار أفعالهم المشينة مرة ومرة.

غير أن نادين أشرف، طالبة المصرية والبالغة من العمر 22 عاما انتصرت على توحش القبيلة، وإرث العادات المناهضة للعدل، وهي ترفع راية المجاهرة بتوثيق وفضح جرائم التحرش والاعتصاب في المجتمع المصري، ليتسع اختيارها من مجلة "تايم" الأميركية قبل أيام ضمن مئة شخصية الأكثر تأثيرا في العالم بالقائمة السنوية التي تعلنها المجلة مطلع كل عام. وقبل ذلك اختارتها هيئة الإذاعة البريطانية "بي.بي.سي" من بين شخصيتين من مصر، اعتبرتهما الأكثر تأثيرا في الناس خلال العام الماضي.

## ضد الصمت

الاختيار الأخير وسابقه، جاء ردا على نتائج مذهلة حققتها مبادرتها بتدشين حساب على إنستغرام باسم "شرطة الاعتداءات"، الذي يوثق لحكايات فتيات ونساء ضحايا للتحرش في مصر، واللاتي يضطرن تحت وطأة الخوف من نظرة العار، وصعوبة إثبات الاتهام على الجناة إلى اختيار الصمت كبديلا وحيدا للدخول في مشكلات معقدة، ما يؤدي إلى معاناتهن باوجاع نفسية عديدة، ترك شروخا في نفوسهن.

رغم اهتمام الإعلام في مصر بمجلة "تايم" الأميركية، باعتبارها واحدة من كبريات المجلات السياسية المعروفة، إلا أن اختيار أشرف ضمن قائمة المئة شخصية الأكثر تأثيرا مر على غالبية المصريين مرور الكرام. لم تستصغف برامج "التوك شو" المختلفة في الفضائيات المصرية هذه الفتاة، ولم يلتفت أحد من كتاب المقالات والأعمدة الصحافية إلى أمرها، وكان مبادرتها لا تعني أحدا، كما لم يتداول رواد السوشيال ميديا الخبر من باب التساؤل عما فعلته تلك الفتاة الصغيرة لتستحق أن تحوز اهتمام المجلة العريقة، وربما جيران الفتاة أنفسهم لا يعرفون عنها شيئا.

مع أن اسم أشرف بات مرتبطا بوحدة من أخطر القضايا التي

المختلفة في الفضائيات المصرية هذه الفتاة، ولم يلتفت أحد من كتاب المقالات والأعمدة الصحافية إلى أمرها، وكان مبادرتها لا تعني أحدا، كما لم يتداول رواد السوشيال ميديا الخبر من باب التساؤل عما فعلته تلك الفتاة الصغيرة لتستحق أن تحوز اهتمام المجلة العريقة، وربما جيران الفتاة أنفسهم لا يعرفون عنها شيئا.

مع أن اسم أشرف بات مرتبطا بوحدة من أخطر القضايا التي

المختلفة في الفضائيات المصرية هذه الفتاة، ولم يلتفت أحد من كتاب المقالات والأعمدة الصحافية إلى أمرها، وكان مبادرتها لا تعني أحدا، كما لم يتداول رواد السوشيال ميديا الخبر من باب التساؤل عما فعلته تلك الفتاة الصغيرة لتستحق أن تحوز اهتمام المجلة العريقة، وربما جيران الفتاة أنفسهم لا يعرفون عنها شيئا.

مع أن اسم أشرف بات مرتبطا بوحدة من أخطر القضايا التي